



تقييم حالة

جيش الإسلام: البحث عن دور في مستقبل سورية

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2015

جيش الإسلام: البحث عن دور في مستقبل سورية

سلسلة: تقييم حالة

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يوليو 2015

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2015

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

1	مقدمة
1	سلفية علمية مسلّحة
2	النشأة والتنظيم والتحالفات
5	الحرب ضدّ تنظيم الدولة
7	العلاقة بين جيش الإسلام وجبهة النصرة
8	قضايا مثيرة للجدل
8	1. قصف دمشق
9	2. اختطاف الناشطين
10	3. "القضاء على المفسدين"
11	4. مستقبل الجيش: الأسئلة المفتوحة

مقدمة*

أضحى جيش الإسلام قوّةً عسكريّةً كبيرةً ومنظمةً في غوطتي دمشق، ومحيطها. وبات يُطرح، إقليمياً، كأحد أبرز القوى التي يمكن التعويل عليها أو التنسيق معها، سواء كان ذلك في قتال تنظيم الدولة ووقف تقدّمه نحو دمشق أو في ضبط الفوضى في حال حدوث انهيار كلّّي أو جزئي لقوات النظام في العاصمة وأطرافها.

ترصد الورقة تجربة جيش الإسلام، ومرتكزاته الفكرية والعقائدية، ونشأته وتنظيمه، وتحالفاته العسكرية، وصراعه مع تنظيم الدولة، وتنافسها مع السلفية الجهادية. كما تسلط الضوء على أبرز الإشكاليات والانتقادات التي تُوجّه إليه؛ وذلك قبل الإجابة عن أسئلة وسيناريوهات المستقبل في ظلّ المتغيرات الداخلية والخارجية.

سلفية علمية مسلّحة

مع دخول الثورة السورية مرحلة العسكرية، نشأت فصائل مسلّحة ناتجة من عدّة دوافع - من بينها الدوافع الأهلية والعشائرية والدينية - في شكل "فزعات" محلية بمراكز الأطراف، والأطراف، والأرياف التي توطنت فيها الاحتجاجات. ونتيجةً لعنف النظام وبطشه، وانحياز جزء كبير من المؤسسة الدينية التقليدية إلى صفّ النظام، والاستقطاب الطائفي الناجم عن الانقسام المجتمعي، أخذ الشباب المسلّح يبحث عن حاضنٍ جديد سواء كان سلفياً أو جهادياً، أو سلفياً علمياً، أو إخوانياً حركياً، أو مسجدياً محلياً انشق رواده عن المؤسسة الدينية التقليدية، وسعوا لتأسيس بديل إسلامي لتنظيم العمل المسلّح وتأييره تحت عناوين مختلفة (الجهاد، والمقاومة، ودفع الصائل). وكانت السلفية التقليدية (العلمية) المحدودة الانتشار في سورية أصلاً، شأن السلفية التقليدية في كلّ مكان، بعيدةً من السياسة وتفصيلها، لكنّ موقفها تغيّر بعد انطلاق الثورة السورية وتحولها إلى العمل المسلّح لأسباب عديدة أبرزها:

* تتوّه وحدة تحليل السياسات في المركز العربي بالجهود الذي بذله الباحث عبد الناصر القادري في إعداد هذه الورقة وإجراء المقابلات الميدانية التي جمع خلالها بعض مادتها.

- عجز أدبياتها عن الاستجابة لتحديات المرحلة ومستجداتها. فتعريف السلفية العلمية لنفسها بأنها دعوة إلى العلم، والعبادة، والعقيدة، والتربية، والأخلاق، والسلوك الملتزم، ورفضها الانخراط في السياسة وشؤونها، وتحريم الخروج على الحاكم، لم يعودا مقنعين أو جاذبين لأنصارها.
- اندفاع خصومها (السلفية الجهادية)، ومنافسوها (الإخوان) إلى المشاركة في العمل الثوري السلمي والمسلح، وتأطيره سياسياً، وتنظيمه عسكرياً لاجتذاب شباب غير مؤطرّ كان رافعةً للثورة في مراحلها المختلفة.
- وجود مُحرضٍ خارجي، تمثل بمشايخ ورجال دين سوريين (عدنان العرعور) وخليجيين، دفعها إلى هجر حياها، وتغيير نظرتها إلى السياسة.

يُعدّ جيش الإسلام أحد أبرز التجليات التنظيمية للسلفية العلمية، فهو يعتمد أدبياتها أيديولوجيةً ومنهجاً، لكنه يختلف عنها في مسائل إشكالية؛ كالثورة والخروج على الحاكم. إذ يرى جيش الإسلام أنّ رسالته تقوم على الجهاد ضدّ "الحاكم الكافر"، وأنّ هدفه هو إقامة دولة يستند دستورها إلى الشريعة الإسلامية ونتاج أهل العلم المختصين من علماء وفقهاء وحقوقيين¹.

النشأة والتنظيم والتحالفات

في أيلول/ سبتمبر 2011، ظهرت سرّية الإسلام من مدينة دوما، مركز الغوطة الشرقية²، وكان قوامها 14 رجلاً من بينهم مؤسسها زهران علوش³. بدأت السرية نشاطها بعمليات محدودة استهدفت مراكز النظام في الغوطة الشرقية⁴.

¹ لقاء اليوم - زهران علوش.. قائد لواء الإسلام"، مقطع فيديو، يوتيوب، 19 / 6 / 2014، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=amRyuwoIL3Y>

² المرجع نفسه.

³ درس زهران عبد الله علوش في كلية الشريعة بجامعة دمشق، وتابع دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، ثم درس الماجستير في كلية الشريعة بجامعة دمشق. وكان قبل الثورة يعمل في مجال المقاولات، بعد أن أسس شركة للخدمات المساندة للإعمار. وعرضه نشاطه الدعوي منذ عام 1987 لملاحقة من الأجهزة الأمنية إلى مطلع عام 2009، في فروع عدّة استخبارات، ثم أُودع سجن صيدنايا العسكري وأُفرج عنه ضمن العفو العام في منتصف عام 2011.

⁴ "أول بيان لأول عملية لسرية الإسلام في دوما وهؤلاء المجاهدين لم يبق منهم إلا 5 أحياء"، مقطع فيديو، يوتيوب، 11 / 3 / 2014، على الرابط:

وركزت في حماية التظاهرات والتصدي لقوات الأمن. وتحولت منذ الأول من حزيران/يونيو 2012، مع توسع العسكرة وازدياد عدد المتطوعين إلى "لواء" ضم 64 كتيبة قتالية صغيرة العدد، وتفرع منه مجلس قيادة و 23 مكتباً إدارياً لتنظيم آلاف المقاتلين والمتطوعين⁵. وانتشر اللواء بسرعة في غوطتي دمشق وجنوبها، وتنامى حضوره خارجها بعد أن حظي بدعم وتمويل خارجي (من مشايخ ورجال دين سعوديين في البداية)، وغدا أبرز الفصائل الجاذبة للمنتسبين الجدد، والكتائب الصغرى التي تفنقت التسليح والتمويل. وتماشياً مع الاندماجات المنطقية التي برزت أواخر عام 2013، أعلن زهران علوش في 29 أيلول/سبتمبر 2013 تأسيس "جيش الإسلام"، بوصف ذلك حصيلةً لاندماج لوائه مع أكثر من 43 لواءً وكتيبةً تنتشر في دمشق وريفها، وحلب، واللاذقية، وإدلب، وحماة، وحمص، ودير الزور. وسعى جيش الإسلام، غداة الإعلان عنه، إلى تنظيم عمله المسلح لاجتباب الفوضى والارتجالية التي اتسم بها، وبادر إلى إنشاء هيئات ومكاتب إدارية أبرزها مكاتب الخدمات، وتصنيع السلاح، والنقل، والإعلام، وتأمين المنشقين، لتشكل رافداً له⁶، كما شكّل مجلس شوري وقيادة أركان تتولى رسم الإستراتيجية السياسية والعسكرية.

يبلغ عدد مقاتلي جيش الإسلام نحو 10 آلاف مقاتل، وهو يمتلك أسلحةً متنوعةً خفيفةً وثقيلةً؛ ومن بينها الأسلحة الفردية، والرشاشات، ومضادات الدروع، وسلاح المدفعية، والمدرعات، والدبابات، ومنظومة دفاع جوي روسية الصنع (أوسا - Osa)⁷ اغتنمتها إحدى وحدات الدفاع الجوي في الغوطة، وطائرتا تدريب نفاثتان (إيرو - L 39 وبانروس L-39S) غير قادر على استخدامهما. وطوّر جيش الإسلام قدرات صاروخية قصيرة المدى (كاتيوشا وغراد، Type 63) استخدمها في قصف مواقع النظام ومراكزه في العاصمة دمشق⁸.

<https://www.youtube.com/watch?v=BTthjIU6w-0>

⁵ "حوار مع قائد فصيل (لواء الإسلام) السورية"، مجلة البيان، 5/7 / 2013، على الرابط:

<http://www.albayan.co.uk/Mobile/MGZarticle2.aspx?id=2790>

⁶ "جيش الإسلام" .. منهجية عسكرية مؤسساتية ب 60 تشكيلاً مقاتلاً" جريدة الشرق الأوسط، 12 / 11 / 2013، على الرابط:

<http://bit.ly/1NJx1rY>

⁷ انظر: "Hit with captured gear"، مقطع فيديو، يوتيوب، 31 / 6 / 2013، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=tA81HsShrVA>

⁸ "قصف دمشق: ما هي الصواريخ التي يستخدمها جيش الإسلام لتقليل الخسائر؟"، أورينت نت، 13 / 2 / 2015، على الرابط:

http://orient-news.net/index.php?page=news_show&id=85089

وعلى الرغم من أنّ جيش الإسلام شارك في تحرير الغوطين وأحياء دمشق الجنوبية ومناطق أخرى من سورية، فإنّ عدّة انتقادات حادّة تُوجّه إليه، بسبب انسحاباته "التكتيكية" المتكررة من مواقع ومعارك كان أهمها ما جرى في بلدة المليحة الإستراتيجية⁹، وكذلك مدينة عدرا التي تعدّ بوابة القلمون الشرقي ونقطة الوصل بين الغوطة الشرقية والقلمون¹⁰. وقد بلغ التهكم بخصوصه، ومنتقديه حدًّا وصفوه فيه بجيش "الانسحابات التكتيكية".

دخل جيش الإسلام في تحالفات عديدة في المستويين المناطقي والوطني، لكنه خرج من أغلبها لأسباب مختلفة؛ أبرزها عجز الأطر التنظيمية الجديدة عن صهر مكوناتها ودفعها إلى تجاوز خلافاتها وتبايناتها، واختلاف الأولويات العسكرية، وتعدّد الداعمين الإقليميين وخلافاتهم، وكاريزما علوش واندفاعه إلى القيادة والزعامة. وكان تجمع أنصار الإسلام الذي أعلن عن تأسيسه في 8 آب/ أغسطس 2012، أول تحالفات لواء الإسلام ضمن حيّزه الجغرافي، وقد ضمّ كبريات الفصائل العاملة في دمشق ومحيطها، وكتائب الصحابة، ولواء الحبيب المصطفى، وكتائب حمزة بن عبد المطلب، وكتائب الفرقان، ولواء درع الشام، ولواء أحفاد الرسول¹¹. لكنه، بعد أسابيع قليلة من تأسيسه، تفكّك بسبب خلافات عصفت به نتيجة دخول لواء الإسلام ممثلًا عن التجمع كلّه في جبهة تحرير سورية الإسلامية من دون استشارة سائر الفصائل، وهو ما أدّى إلى انسحابها وفضّ التحالف مع لواء الإسلام.

بانضمام لواء الإسلام إلى جبهة تحرير سورية في 12 أيلول/ سبتمبر 2012¹²، يكون قد دخل أول تحالفاته على الصعيد الوطني، وأولى تجاربه مع مؤسسات المعارضة. وقد ضمتّ الجبهة أكثر من 12 فصيلةً، وعُقدت عليها أمال كبيرة لتكون جسمًا عسكريًا ينظّم العلاقة بين الفصائل الإسلامية مع هيئة الأركان المشتركة التي تتلقى الدعم الخارجي، ويجذب فصائل إسلاميةً أخرى لم تنضو إليها بعد. لكنّ الخلافات الأيديولوجية بين

⁹ "سقوط المليحة وقتلى في قصف على ريف دمشق"، الجزيرة نت، 14/ 8 /2014، على الرابط:

<http://bit.ly/1kOdRa1>

¹⁰ "سورية: القوات النظامية تسيطر على عدرا البلد"، العربي الجديد، 27 /9 /2014، على الرابط:

<http://bit.ly/1JOYhDU>

¹¹ "بيان تشكيل تجمع أنصار الإسلام في قلب الشام"، مقطع فيديو، يوتيوب، 8 /8 /2012، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=gC9rSPIPTu8>

¹² "البيان تأسيس جبهة تحرير سورية الإسلامية، مقطع فيديو، يوتيوب، 21 /9 /2012، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=R0i6RsPLwQA>

فصائل الجبهة (الإخوان، والسلفية الجهادية، والسلفية العلمية)، والتنافس في قيادتها، أفضلها، ودفع كل من لواء الإسلام وصقور الشام إلى فك الارتباط معها، والانضمام إلى جسم جديد أُعلن عن تأسيسه في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر 2013 ضمن مسمى الجبهة الإسلامية¹³؛ بهدف مواجهة النظام وتنظيم الدولة.

الحرب ضد تنظيم الدولة

مثل تنظيم الدولة خطراً وجودياً على كتائب الجيش الحر والفصائل الإسلامية، منذ الإعلان عن تأسيسه 9 نيسان/ أبريل 2013، بعد استهدافه مواقعها ومراكزها، واستيلائه على أسلحتها، وجذبته كثيراً من مقاتليها. وعلى خلاف علاقة تنظيم الدولة بفصائل السلفية الجهادية التي شابها التوتر حيناً والتهدئة حيناً آخر، اتسمت علاقته بجيش الإسلام بالعدائية، وبلغت في مرحلة مبكرة، حدّ التكفير والمواجهة المسلحة¹⁴. ولمواجهة جيش الإسلام الخطر المحدق به، تجاوز عن كثير من التفاصيل التي كانت تمنع التقاءه فصائل يختلف معها فكرياً وتنظيمياً، سواء كان ذلك في المستوى الوطني (أحرار الشام، وجبهة النصرة)، أو المناطقي (الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام)؛ من أجل تشكيل تحالفات عسكرية قادرة على مواجهة تنظيم الدولة ووقف تمدده. وحققت الجبهة الإسلامية هدفها الرئيس بعد انخراطها في مواجهة مع التنظيم في مطلع عام 2014، انتهت بطرده من عموم مناطق الشمال، ما عدا ريف حلب الشرقي. كما نجح جيش الإسلام، في 25 حزيران/ يونيو 2014، بعد تأسيس القيادة الموّحدة والقضاء الموّحد في الغوطة، في طرد التنظيم طرداً كاملاً من الغوطين، والسيطرة على مراكزه الرئيسة في قرى ميدعا، والمرج ومسرابا¹⁵، لتنتقل المعركة بعد ذلك إلى أحياء دمشق الجنوبية.

¹³ "البيان التأسيسي للجبهة الإسلامية"، مقطع فيديو، يوتيوب، 6/ 3/ 2015، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=1ZqoZVJIEfg>

¹⁴ أحمد أبازيد: "سياسة الدين المخبأ: كيف فشل الإسلاميون السوريون في حرب الأفكار"، مركز نماء للدراسات والبحوث، 3/ 12/ 2015، على الرابط:

<http://www.nama-center.com/ActivitieDatials.aspx?id=30525>

¹⁵ "جيش الإسلام يطرد 'داعش' من آخر معاقلها في الغوطة الشرقية"، أورينت نت، 2/ 7/ 2014، على الرابط:

http://www.orient-news.net/?page=news_show&id=79693

وعلى خلاف الغوطين، لم يبادر جيش الإسلام إلى قتال تنظيم الدولة في أحياء دمشق الجنوبية خشية استغلال قوات النظام المواجهة بينهما وإعادة السيطرة على هذه الأحياء التي تخضع لحصار مطبق. وساهم نجاح تنظيم الدولة في ترسيخ وجوده وتثبيتته في جنوب دمشق عبر تحالفات عشائرية وعسكرية، واعتزال جبهة النصرة قتاله ومواجهته في تأجيل هذه المواجهة. لكنّ اقتحام التنظيم مقرّ جيش الإسلام¹⁶، واعتقال قائده وعدد من قادة الفصائل المتحالفة معه في جنوب دمشق (ألوية الصحابة، وشباب الهدى، وتنسيقية يلداء) دفعه - بالتعاون مع الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام ولواء شام الرسول وجبهة ثوار سورية¹⁷ - إلى التحرك سريعاً، في 17 تموز/ يوليو 2014؛ لاستئصال التنظيم في جنوب دمشق ومحاصرة مقرّه في يلداء.

بعد إعلان جبهة النصرة وبعض فصائل الجيش الحر اتخاذها موقفاً محايداً من تنظيم الدولة، حاول جيش الإسلام وحلفاؤه إضفاء الشرعية وتحقيق إجماع بشأن قرار مواجهة التنظيم في جنوب دمشق، ونجحوا في استصدار بيان من المحكمة الشرعية في جنوب دمشق وُصفت فيه أفعال تنظيم الدولة بأنها "عدوان وبغيّ على المجاهدين والمرابطين في الجبهات"، ودعا مقاتلي هذا التنظيم إلى تسليم سلاحهم وحلّ التنظيم، ثمّ الخضوع لمحكمة مشتركة عادلة¹⁸. وعندما رفض التنظيم قرارات المحكمة الشرعية، شنّ مقاتلو جيش الإسلام وأجناد الشام هجوماً سريعاً انتهى بطرد التنظيم من مقرّه الرئيسي في بلدة يلداز.

لقد أدت المواجهات السابقة إلى اضمحلال تنظيم الدولة وتراجع نفوذه في جنوب دمشق (يلدأ، وبييلا، وبيت سحم، ومخيم اليرموك)، وأبرزت جيش الإسلام قوّة مهيمنةً تتحكم في مفاصل العمل المسلّح ومخرجاته في الغوطين وجنوب دمشق، وهو ما خلق توتراً مع فصائل أخرى منافسة كجبهة النصرة وأحرار الشام. وقد عمل تنظيم الدولة على وثر هذه الخلافات، ونجح في استغلالها لإعادة إحياء نشاطه والتمدد من جديد في جنوب دمشق، وبخاصة في مخيم اليرموك.

¹⁶ جاء اقتحام تنظيم الدولة لمقرّ جيش الإسلام في جنوب دمشق، بعد مقتل أبو عبد الله طيارة شقيق أمير التنظيم في جنوب دمشق المعروف بـ "أبو صياح فرامة"، واتهامه جيش الإسلام بالوقوف وراء مقتله.

¹⁷ "بيان مشترك من الفصائل المقاتلة في الغوطة الشرقية"، موقع جيش الإسلام، 2014/6/25، على الرابط:

<https://www.jaishalislam.com/statement/51>

¹⁸ أبو شاهر، مقابلة شخصية أجراها معه عبد الناصر القادري، دمشق 10 / 12 / 2014.

العلاقة بين جيش الإسلام وجبهة النصرة

لم تكن علاقة جيش الإسلام بجبهة النصرة سيئةً خلال الأعوام الماضية، لكنها لم تكن جيدةً أيضاً بسبب ما شابها من أزمات كثيرة. فخلاف السلفية العلمية والجهادية متقدّم على انطلاق الثورة، وقد فاقم هذا الخلاف تصريحُ الشرعي العامّ في جيش الإسلام الشيخ أبو عبد الرحمن كعكة بأنّ منتسبي جبهة النصرة "يتبنّون عقيدة الخوارج في الكثير من الأصول"¹⁹. وكاد هذا التصريح يتسبب بمواجهة مسلّحة مبكّرة بين جيش الإسلام وجبهة النصرة لولا نجاح علوش في احتوائها بالقول "إنّ الشيخ كعكة قصد بعض العناصر الذين تركوا جبهة النصرة والذين يظهر عليهم الغلوّ في الدين"، وإنّ "الخلاف مع جبهة النصرة لا يخرج عن سياقه الطبيعي المعروف"²⁰. لكنّ تنامي حضور جيش الإسلام، ونجاحه في اجتذاب المقاتلين المحليين ودمج الفصائل الصغرى في تنظيمه فرض وقائع عسكرية جديدةً ألفت بدواعياتها على جبهة النصرة؛ من جهة تراجع نفوذها وتسربّ مقاتليها، وانفصاض تحالفها مع عدد من قادة الفصائل الذين فضلوا التنسيق مع جيش الإسلام أو الانضواء إلى رايته.

وأدى انسحاب جبهة النصرة من القضاء الموحد، واتهامها علوش بالتأثير في قراراته وبالاستئثار، إلى تعميق الفجوة بين الطرفين، ودفعهما إلى مواجهة غير معلنة برزت معالمها في أحداث مخيم اليرموك؛ إذ سهّلت النصرة دخول مقاتلي تنظيم الدولة إلى هذا المخيم في مطلع نيسان/ أبريل 2015²¹، في حين منعت جيش الإسلام من تقديم المؤازرة لكتائب أكناف بيت المقدس التي وقع على عاتقها العبء الرئيس في مقارعة التنظيم، وهو ما دفع جيش الإسلام إلى إصدار بيان اتهم فيه النصرة اتهاماً صريحاً بالتواطؤ مع تنظيم الدولة للسيطرة على مخيم اليرموك ومنعها الأكناف من المؤازرة²². ولم يكن من تفسير منطقي لخطوة النصرة تلك إلا رغبتها

¹⁹ "الجزء الأول الشيخ أبو عبد الرحمن كعكة"، مقطع فيديو، يوتيوب، 19/ 6/ 2013، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=jyOWOsNVFJo>

²⁰ "ردّ القائد زهران علوش على مقطع لشرعي جيش الإسلام يصف فيه جبهة النصرة بالخوارج"، مقطع فيديو، يوتيوب، 30/ 11/ 2013، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=9-bpQlgG8qM>

²¹ "تنظيم الدولة يقتحم حي اليرموك بدمشق المعارك مستمرة"، الجزيرة نت، 1/ 4/ 2015، على الرابط:

<http://bit.ly/1G1Dg3R>

²² "الرد على جبهة النصرة"، موقع جيش الإسلام، 5/ 4/ 2015، على الرابط:

في تقليص دور جيش الإسلام في جنوب دمشق، والردّ على مساندته لبعض الفصائل المناوئة لها في بلدة بيت سحم الواقعة جنوب دمشق التي ساهمت في إخراجها منها.

قضايا مثيرة للجدل

يُعدّ قصف دمشق، واختفاء الناشطين، والاعتقالات من أكثر القضايا التي أثارت جدلاً بشأن جيش الإسلام، وقائده وخلقت انقسامًا شعبيًا وسياسيًا حوله.

1. قصف دمشق

أعلن جيش الإسلام في 3 شباط/ فبراير 2015 مدينة دمشق منطقةً عسكريةً، وتوعّد باستهداف جميع مواقع النظام ومقارّه في العاصمة، عادًا ذلك ردًا مباشرًا على سلسلة من المجازر التي ارتكبتها طيران النظام في الغوطة الشرقية (في مدينة دوما تحديدًا)، والتي أدّت إلى أكثر من مئة قتيل مدني²³. لكنّ بعض صواريخ الكاتيوشا المحلية الصنع، سقطت على مناطق مدنية وأفضت إلى قتلى وجرحى من المدنيين. كما استهدفت القذائف أحياء مدنية "العشوائيات" التي تقطنها أغلبية من الطائفة العلوية (المزة 86، وعش الورور، ومساكن برزة - مسبق الصنع) بذريعة وجود مساكن ضباط الأمن والجيش والشبيحة فيها. ولم يعترف جيش الإسلام بمسؤوليته عن سقوط ضحايا مدنيين في دمشق ومحيطها، واتهم النظام بتعمّد استهداف الأحياء المدنية تزامنًا مع قصفه الصاروخي. ولم يقدّم علوش بشأن القتلى والجرحى في العشوائيات أيّ تبرير؛ فهم "شبيحة" اعتدوا على جيرانهم، وارتكبوا مجازر طائفية، وردعهم ضروري للحد من انتهاكاتهم.

أثار قصف دمشق جدلاً واسعًا في الشارع السوري بمجمله، وبخاصة بالنسبة إلى الشرائح المؤيِّدة للثورة، وتباينت المواقف بين مؤيِّد ومعارض. فقد أيدّ عدد كبير من أهالي الغوطة قصف دمشق، وحملوا سكانها مسؤوليةً

<https://www.jaishalislam.com/statement/59>

²³ "علوش يعلن دمشق منطقة عسكرية"، الجزيرة نت، 3/ 2/ 2015، على الرابط:

<http://bit.ly/1Re09Nx>

أخلاقية لسكوتهم عن الحصار، وتحالفهم مع النظام اقتصادياً وسياسياً. وفي المقابل، برزت وجهات نظر معارضة رأت أنّ تلك الخطوة استتساح لسلوك النظام وقصفه العشوائي، وأنها تدفع أهالي دمشق إلى الانحياز الكامل للنظام الذي "يحميهم"، ورأى بعضهم أنّ قصف دمشق يُعدُّ تعدياً على حضارة دمشق ومعالمها وتراثها وتاريخها²⁴.

2. اختطاف الناشطين

يوم 9 كانون الأول/ ديسمبر 2013، اختطفت جماعة مجهولة كلاً من رزان زيتونة، وسميرة الخليل، ووائل حمادة، وناظم حمادي²⁵، وهم ناشطون ومعارضين يعملون في مركز توثيق الانتهاكات ويتخذون مدينة دوما في الغوطة الشرقية مركزاً لهم. وعلى الرغم من أنّ اختطاف المدنيين تكرر خلال الأعوام الماضية، فإنّ ما أكسب القضية أهمية خاصة أنّ هؤلاء الناشطين يُعدّون من ذوي التاريخ النضالي المدني ضدّ النظام، وخصوصاً منهم رزان زيتونة، وسميرة الخليل. وفي إثر الإعلان عن اختفائهم، وُجّهت تهمة اختطافهم إلى جيش الإسلام وقائده زهران علوش بسبب وجود مقرهم في دوما التي تخضع كلياً لسيطرته. ونفى جيش الإسلام خطف رزان ورفاقها، وشكّل لجنة أمنية، وأحال القضية على القضاء الشرعي²⁶. لكنّ ذلك، لم يُقنع الناشطين المدنيين، فسارعوا إلى حملات داخلية وخارجية لـ "تجريم" علوش، وإجباره على إطلاق سراحهم. وقد حاولت شخصيات معارضة، ومنظمات أهلية، ومؤسسات دينية، إجراء وساطة لدى جيش الإسلام وحثّ قائده على كشف مصير الناشطين أو المساعدة في تحريرهم، غير أنّ جهدها لم يؤدّ إلى نتيجة.

²⁴ ناصر الدين الجبلاي، 'ياسمين دوماً أجمل وأندى عطراً'، زمان الوصل، 11 / 2 / 2015، على الرابط:

<https://www.zamanalwsl.net/news/57962.html>

²⁵ ناشطون: مسلحون يختطفون الناشطة السورية رزان زيتونة"، العربية نت، 11 / 12 / 2013، على الرابط:

<http://bit.ly/1cnRUUS>

²⁶ "ما هو مصير رزان زيتونة؟ الجواب من زهران علوش"، مقطع فيديو، يوتيوب، 31 / 8 / 2014، على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=Wso41WLB6Gw>

3. "القضاء على المفسدين"

أعلن جيش الإسلام في 4 كانون الثاني/يناير 2015 حظر التجول في مدينة دوما، وحاصر مقاتلوه مقرّ "جيش الأمة"²⁷، واعتقلوا قائده (أبو علي خبية) وعناصره، وصادروا أسلحته ضمن عملية سماها علوش "القضاء على المفسدين". وعلى الرغم من أنّ الخطوة السابقة استندت إلى قرار من القضاء الموحد، فإنها كانت فرديةً، ومن دون تنسيق أو تشاور مع الفصائل الأخرى (الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وفيلق الرحمن، وحركة أحرار الشام الإسلامية)، وهو ما دفعها إلى إصدار بيان جاء فيه "إنّ القضاء على المفسدين هو واجب شرعي وثورى تحت مظلة المجلس القضائي الموحد في الغوطة الشرقية الذي فوضته جميع الفصائل في الغوطة الشرقية. أمّا ما يجري من أحداث في الغوطة الشرقية حالياً، فلم يكن لنا مشاركة فيها"²⁸.

لم تكن الفصائل راضيةً عن استئصال جيش الأمة، ورأت أنّه مقدّمة لفرض جيش الإسلام هيمنته على القضاء الموحد، وعلى العمل المسلح في الغوطين وجنوب دمشق، وذريعة للقضاء على من يعارض هذا التوجه. وقد وصلت الانتقادات حدّاً وصف فيه أبو محمد الفاتح القائد العامّ للاتحاد الإسلامي لأجناد الشام، وأبرز حلفاء جيش الإسلام (في تغريدات على تويتر) مصطلح مكافحة المفسدين الذين يعتمده زهران علوش بأنه "شبيه لمصطلح مكافحة الإرهاب الذي يتبناه النظام"²⁹. كما خرجت تظاهرات في بعض قرى الغوطة هتفت ضدّ الجيش وطالبت بإطلاق الموقوفين والمعتقلين³⁰.

²⁷ تشكيل عسكري نشأ في الغوطة في شهر أيلول/سبتمبر 2014، وبحسب بيانه التأسيسي كان الجيش يضمّ عشر فصائل؛ في صدارتها شهداء دوما تحت قيادة أحمد طه، ومنها عدد من الفصائل من خارج الغوطة الشرقية من إدلب وريف حماة الشمالي، انظر "جيش الأمة" اندماج جديد للفصائل العسكرية السورية يعلن عن نفسه في الغوطة الشرقية"، **كلنا شركاء**، 19 / 9 / 2014، على الرابط:

<http://all4syria.info/Archive/169148>

²⁸ "الاتحاد الإسلامي وأحرار الشام في الغوطة الشرقية: القضاء على المفسدين واجب شرعي"، **كلنا شركاء**، 5 / 1 / 2015، على الرابط:

<http://www.all4syria.info/Archive/186936>

²⁹ "كبرى تشكيلات الغوطة تتبرأ من 'محاربة المفسدين'.. وتخوف من محاكاته لمصطلح 'مكافحة الإرهاب'"، **زمان الوصل**، 5 / 1 / 2015، على الرابط:

<https://www.zamanalwsl.net/news/56844.html>

³⁰ انظر "سبقاً 29 - 05 - 2015 مظاهرة حاشدة لأهالي المعتقلين ضد القضاء في جيش الإسلام وقائده الشيخ زهران علوش"، مقطع فيديو، **يوتيوب**، 29 / 5 / 2015، على الرابط:

4. مستقبل الجيش: الأسئلة المفتوحة

أضحى جيش الإسلام القوة العسكرية الكبرى الأكثر انضباطاً في محيط العاصمة. وقد دفع نجاح الجيش في تجاوز عدّة تحديات وصعوبات واجهته خلال السنوات الماضية، ووجود قيادة مركزية له، وصلابته العسكرية والأيدولوجية، ووجود حاضنة شعبية تلتفّ حوله، وتحالفه مع فصائل قوية (أجناد الشام، وفيلق الرحمن)، قوى إقليمية - ودولية أيضاً - إلى التفكير في توثيق علاقاتها به، ودعمه سياسياً وعسكرياً؛ شريكاً ميدانياً فاعلاً في مواجهة تنظيم الدولة، والتعامل مع أيّ متغيرات طارئة في الواقع الميداني والسياسي السوري³¹. ولم يتأخر زهران علوش عن النقاط الإشارات السابقة، فتخلّى، في لقائه مع صحف غربية عن أدبيات خطابه القديم (قتال المجوس والنصيرين، وإقامة الدولة الإسلامية، ومعاداة الديمقراطية والانتخابات)، وبدأ يتحدث عن وجود خطة مدروسة لما بعد سقوط الأسد تُلبّي حاجات ضبط الأمن، وحماية المرافق العامة ومؤسسات الدولة، وحقّ الشعب في اختيار شكل نظامه ودولته³². وفي موقف متقدّم على سائر الفصائل الإسلامية التي ترفض حتى النقاش في هذه المسألة، أبدى رغبته في أن يكون "جزءاً من جيش سوري" يتولى ضبط الأمن، وجمع السلاح، وقاتل تنظيم الدولة إلى حين طرده من سورية.

يسعى علوش بدفع وتأبيد من المجلس الإسلامي السوري لتقديم جيشه قوّة لها حضورها وفاعليتها في العمل الميداني، وشريكاً عسكرياً وسياسياً يمكن التعويل عليه ضمن سيناريوهات حلّ الأزمة السوريّة. لكنه يدرك أنه غير قادر بمفرده على الاضطلاع بهذا الدور، وأنه يحتاج إلى تحالفات عسكرية، وسياسية تتجاوز الحيز الجغرافي الذي ينشط ضمنه. وبالنظر إلى المستجدات الميدانية والإقليمية، فإنّ تحالفاته المستقبلية قد تكون على النحو الآتي:

<https://www.youtube.com/watch?v=Ax-EzmkRhjU>

³¹ طُرحت هذه الفكرة خلال اجتماع رئيس الائتلاف السابق معاذ الخطيب مع مسؤولين أميركيين أثناء زيارته إلى واشنطن بدعوة من المجلس السوري الأميركي في واشنطن.

³² "زهران علوش لـ 'السورية نت': لدينا خطة مدروسة لما بعد سقوط الأسد وضباط النظام اغتيلوا بتخطيط وتنفيذ إيران"، السورية نت، 18/5/2015، على الرابط:

<http://bit.ly/1d80tKV>

- إعادة إحياء تجربة الجبهة الإسلامية بآليات جديدة، ورؤى مغايرة؛ بهدف اجتتاب الخلافات السابقة التي ساهمت في خروج جيش الإسلام منها. وإنّ ما يُعزّز هذا الاحتمال التقارب القطريّ - التركيّ - السعوديّ، ونجاح تجربة جيش الفتح في إدلب، ووجود قيادة جديدة في أحرار الشام نجحت في دمج مكوّنات الجبهة الإسلامية فيها. وفي المقابل، ثمة عدّة عوائق يمكن أن تحول دون ذلك، لعل أبرزها ضعف جيش الإسلام ومحدودية قواته في الشمال، واندفاع علوش إلى القيادة والتحكم، وهو ما ترفضه قيادة الأحرار، وخلافاته المستجدة مع الحركة، ومع جبهة النصرة في الغوطة الشرقية، ورفض فصائل جهادية وإسلامية ضمن جيش الفتح التحالف معه أو التعاون.
- الانضمام إلى الجبهة الجنوبية أو التحالف معها: تشكّلت الجبهة الجنوبية أواخر عام 2014، لتضمّ أكثر من 35 فصيلةً مقاتلةً في درعا، والقنيطرة، وريف، دمشق.. إلخ. ونظرًا إلى القرب الجغرافي والعمليّاتي، وقناة الدعم الموحدة (السعودية)، فإنّ جيش الإسلام ربما يكون جزءًا من قوات الجبهة الجنوبية في الغوطة الشرقية وجنوب دمشق أو امتدادًا لها، لكنّ ذلك مرتبط بمدى استعداد هذا الجيش للتخلي عن تجربته التنظيمية والإدارية والقضائية وإلحاقها بالجبهة الجنوبية ومؤسساتها، وبقدرته على تجاوز التحالف والتنسيق مع كلّ من أجناد الشام، وفيلق الرحمن، والوصول إلى اندماج كامل معهما.